

بلجيكا دنمارك هولند

# أحقاد غربية على سيد البشرية

صلى الله عليه وسلم


بقلم

**د/ زكريا أحمد محمد نور**

المراقب العام للوعظ بالأزهر
وعضو رابطة الادب الإسلامى العالمية

٠١٠٤٨٢٤٦٠٠




بلجيكا دنمارك هولندا

# أحقاد غربية على سيد البشرية

صلى الله عليه وسلم


بقلم

د/ زكريا أحمد محمد نور

المراقب العام للوعظ بالأزهر
وعضو رابطة الادب الإسلامى العالمية

٠١٠٤٨٢٤٦٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

## - التمهيـــــــد -

**١- قال تعالى:**

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

**٢- قال تعالى:**

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢)

**٣- قال تعالى:**

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٣)

**٤- قال تعالى:**

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِـــالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤)

**٥- قال تعالى:**

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٥)

٦- **قال تعالى:**

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦)

٧- **قال تعالى:**

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٧)

٨- **قال تعالى:**

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٨)

## هوامش

(١) سورة البقرة آية ١٤٦

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥

(٣) سورة المائدة آية ٧٨

(٤) سورة التوبة آية ١٢٨

(٥) سورة محمد آية ٣٤ – ٣٥

(٦) سورة البينة آية ٦

(٧) سورة الإسراء آية ٩٧-٩٨

(٨) سورة لقمان آية ٢٣-٢٤

## المقدمة

الله رحيم : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) ﴾ [١]

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٢] ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٣] ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾[٤] .

✧ ✧ ✧

الرسول رحيم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[٥] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٦]

✧ ✧ ✧

القرآن رحمة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧] ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨] ﴿ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٩]

✧ ✧ ✧

المؤمنون رحماء : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[١٠]

✧ ✧ ✧

تعاملنا بالرحمة : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[١١]

✧ ✧ ✧

دعوتنا رحمة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[١٢] ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[١٣] ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾[١٤] ﴿ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[١٥]

✧ ✧ ✧

**تصريحات سياسي هولندي عنصري مسيئة للإسلام تثير غضب الجاليات الإسلامية في هولندا :**

توالت هذا الأسبوع ردود الأفعال الغاضبة للجالية الإسلامية في هولندا على تصريحات السياسي الهولندي المتطرف جيرت فيلدرز رئيس حزب الحرية وعضو البرلمان الهولندي العنصري ففي حين طالب المجلس الإسلامي في هولندا الذي يضم أكثر من ٤٠ مؤسسة إسلامية المتطرف "جيريت فيلدرز" بإجراء حوار مع أعضاء المجلس حول الإسلام، لإزالة المخاوف منه وتوضيح الشريعة على حقيقتها. وأن مطالبة فيلدرز بحظر القرآن يهدد التعايش السلمي في البلاد. وعلى النقيض من ردة الفعل المتعلقة بالمجلس الإسلامي بهولندا ، أعلن التجمع الشبابي للمسلمين عن رفضهم لتصريحات فيلدرز بصورة حادة ، وندد أئمة المساجد في هولندا خلال خطب الجمعة بتصريحات فيلدرز ، واعتبروها غير مسئولة ولا تمثل الحكومة أو الشعب الهولندي ، وبادر الأئمة بمطالبة المسلمين بالتروي والهدوء ، وإثبات رغبتهم في التعايش السلمي على الأرض الهولندية ورفض ٧٥% من الهولنديين مطلب فيلدرز بحظر القرآن في الأراضي الهولندية ومصادرة نسخ المصحف ومعاقبة من يتداولها ، وقالوا في استطلاع للرأي أجرته إذاعة هولندا ، إنه ليس من حق فيلدرز المطالبة بذلك أو نشر هذا الرأي بالإعلام الهولندي. لم يدعم مطلب فيلدرز وتوجهاته المعادية للإسلام سوى ١٩% فقط ، فيما طالب ٣١% ممن أجري عليهم استطلاع الرأي ، الصحف والإعلام بعدم نشر مثل هذه المطالب مجدداً . كما طالب ٢٦% من الهولنديين في الاستطلاع بضرورة تتبع أو ملاحقة فيلدرز قانونياً ، لأن ما قاله يعد نشراً للكراهية والعداء داخل المجتمع الهولندي.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[16] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[17] ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[18]

**ماليزيا توقف صحيفة نشرت رسوم مسيئة للمسيح:**

أصدرت الحكومة الماليزية قراراً بوقف إصدار صحيفة يومية لمدة شهر بعد نشرها رسوماً تصور السيد المسيح وهو يمسك سيجارة وعلبة من الجعة ، ونقلت وكالة الأنباء الماليزية برناما عن وزارة الأمن الداخلي قولها أن تصريح إصدار صحيفة ماكال أوساي اليومية التي تصدر بلغة التاميل سيوقف شهراً بدءاً من الجمعة ، وأدان عبد الله أحمد بدوي رئيس الوزراء الماليزي الذي فرض حظراً مماثلاً العام الماضي على صحف نشرت رسوماً مسيئة للنبي (صلى الله عليه وسلم) نشر رسوم مسيئة للسيد المسيح وقال إنها غير مقبولة في المجتمع الماليزي متعدد الأديان والأعراق ، ونشرت الصحيفة الرسوم يوم الثلاثاء الماضي في صفحتها الرئيسية وتصور السيد المسيح وهو يقول (إن تاب أحد عن أخطائه فالسماء تنتظره) وأعتذر رئيس تحرير الصحيفة وقال أن الرسم مأخوذ من الانترنت ويستخدم لتوضيح مقولة اليوم التي تنشرها الصحيفة ، ولكن سياسيين محليين تقدموا بشكوى للشرطة ووصفوا الرسوم بأنها تمثل خطراً على الوفاق الوطني في المجتمع.

قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [١٩] ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[٢٠] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٢١].

**هوامش**

(١) سورة الفاتحة آية ١-٣
(٢) سورة الأنعام آية ١٢
(٣) سورة الأعراف آية ١٥٦
(٤) سورة الكهف آية ٥٨
(٥) سورة التوبة آية ١٢٨
(٦) سورة الأنبياء آية ١٠٧
(٧) سورة يونس آية ٥٧
(٨) سورة الإسراء آية ٨٢
(٩) سورة النمل آية ٧٧
(١٠) سورة الفتح آية ٢٩
(١١) سورة آل عمران آية ١٥٩
(١٢) سورة آل عمران آية ٨
(١٣) سورة الكهف آية ١٠
(١٤) سورة المؤمنون آية ١٠٩
(١٥) سورة المؤمنون آية ١١٨
(١٦) سورة الأحزاب آية ١٥٦
(١٧) سورة الأنبياء آية ١٠٧
(١٨) سورة طه آية ٤١
(١٩) سورة الأنعام آية ٣٣
(٢٠) سورة الحجر ٩٥
(٢١) سورة الزمر آية ٣٦

## الباب الأول

## الفصل الأول

## مولود تحركت من أجله الملائكة

كان طبيعياً أن يعرف الزمن الحالم بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لغة الأناشيد وان يعرف الدهر الواجم في خلده رنة الأغاريد وان تسكب البلابل في آذان الزمن صوته الرقيق وتردد العنادل في توزيع المحن لحنها الرقيق كان يهديها كذلك الملائكة من البيت المعمور إلى البيت الحرام ليكونوا خير سفراء بين الأرض والسماء ويرسلوا مع الأثير الهابط على بيت عبد الله بعض الإشعاعات الكونية والإمدادات الربانية التي تحيطه برحلات من الاحتواء.

**كان مولده تحريراً للبشرية :**

أن مولد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان إيذاناً بأن تنطلق الإنسانية من ربقة الأسار وإعلاناً بأن تتدفق الروحانية في رابعة النهار لتحرير البشرية مع جميع الأصار والأوضار كذلك كان إيقافاً للعقول من رقدتها وإنقاذاً للأفكار من وهدتها وتحريكها للأفهام من ركدتها وتثبيتها للأذهان من نومها البالغ وسباقها العميق إيقاد الوعي الذي خبا وانجازا للسعي الذي سبى واوها ما يستحق مظاهر الجهالة يستحق مناظر الضلالة واخرجا للعلم كله مما يرسف فيه من قيود فلا عجب أن تهتز الدنيا لمولد ولا تثريب أن يثير الوجود ذكره وقصة مولده.

**العالم الملكي قبل مولده صلى الله عليه وسلم:**

لقد كان العالم الملكي قبل مولد خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم غارقاً في حماة الفساد وسفائنه يعيده عن شاطئ الرشاد وكانت الأمم المحيطة به تتخبط في الحياة تخبط العشواء وتسر حالكة الليل بأنه الرجاء وكانت الاغلال ترمل العقول وكواكب الفكر في دائرة الافول وأضواء الحياة ترتكس في قتام عيش طال مداه.

قبل مولد صلى الله عليه وسلم كان البشر في كل مكان فاغرا فاه والطاغوت في مقع مقتز الشفاه والانسانية تتكشر أوزارها في المقاهات وتتغير أثقالها في الظلمات وتتضح روحانياتها أن تشم عبق الحرية فويلت بالصفعات أو تتقسم أربح الحرية كيلت لها الضربات وإن توسلت بكلمات الحق ببطت بها إلا رزاء أو تمسكت بعبارات الصدق حيكت لها الالواء

فتولت من حولها قلعة وخرجت من هولها صعقة ثم غصت بتلك القطرات التي أسندتها من رقائق الدعه والهدوء والسكون.

**<u>كان مولده الأمل المرتقب :</u>**

قد أثبتت الأحداث أن مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان بدء الأمل المرتقب ومطلع الفجر المرتقب ومبعث الغيث الذي محا العبث وانه كان انبثاقة لفجر الحياة ولمعة لبرق الهداة واستجابة لدعاء المظلومين واستطابة لنداء المحرومين وتنفيساً لكرب المكروبين وتقدياً لحق المظلومين المقلوبين وثمالا لآلاف اليتامى لاكتشاف الايامى وتأتيلا لمجد المساكين وتأهيلا لمجد البائسين وإشعاعاً يضئ المسالك لجميع السالكين استهل محمد ولد معه الهدى وانهل به الندى وامتد بالنور المدى وعندما بدت طلعته انثلج صبح الوجود وانحر ضغط القيود وقاح اريج الند وشلت الجهل والجهد وهبت نسائم الرحمة ودرت أثناء الأمل وتلألأت شهب أعنى وتوهجت أشعة البعث وانطلقت أضواء الحق ولمعت نجوم الحرية وشعت قواعد المساواة وترسمت معالم الإخاء وخفقت أعلام الحق وتواكب سبب الخير وتوالى صوب البركان وتنكست أعلام الباطل.

**<u>بمولده رفع الستار عن كثير من الأسرار:</u>**

لقد كان مولده صلى الله عليه وسلم كشفاً لكثير من الأسرار وترك عبق وجوه بالغامن الانار وانشقت سماء الحياة عن احداث في الخارج والداخل زحف إليها جيش من الساؤل وارتسمت حولها عدة من علامات الاستفهام أن إيوان كثرى أنوشروان قد اهتز وتساقطت شرفاته وخمد لهب النار في فارس وطفئت جمراته وضاحت بحيرة ساوه وجفت من أرضها القطرات وفى مهده البهر الذي بهر والسحر الذي سحر والسر الذي ظهر ثم قهر إذا أم تحسس أمه في ميلاده تعنتاً ولا تعباً ولم تجد ألماً ولا وحماً ونزل صلوات الله وسلامه عليه مختوناً مسروراً يفيض بشراً ويفرح سرورا وحينما واجه الأرض اتقاها بيديه واحتمى منها بكفيه ثم رفع رأسه إلى السماء كأنه يقرع بالدعاء فأثار فضول الزائرات وأدهش فكر الحاضرات ورسم في أذهانهن أبدع وأروع الصور عن أكمل وأجمل وأجل طفل وليد ظهر في عالم الوجود.

**أنه رأت بمولده الآيات :**

لقد رأت آمنة بنت وهب بمولده الآيات وشاهدت فيه العلامات وعزفت لـه السـماء وعلمت أن الزمن يخبأ لوليدها مكاناً فوق سدرة المنتهى ويحفظ لوليدها مركز أيعجـز أولـى النهى فكانت تنظر إليه في شفق وتحنو عليه في قلق وتهفوا نحوه في رفق وتدور حوله فـي شفق حيث تفرغ كل ما في قلبها من عطف ولطف ورقة وحنان وأن آمنة تقرأ مـن سـطور ألقيت ما يملأ قلبها أملاً ونفسها اطمئناناً إلى غد مشرق لطفلها السـعيد أن نظراتــه لتختـرق الحجب وتشق أسباب السماء كي تتخذ إلى ما وراء الستار وأن حركته لتواحي إلـى سـمات القيادة وميزات الزيادة وترسم تخطيطاً واضحاً للفلك الذي سيعتلي ذروته بعد قليـل إن آمنــة تنظر إلى وجهه المشرق فتحس هالة من الأضواء وتتخلل خلاله وتبدع جماله فـإذا العيـون متجهة إليه والأشعة مسلطة عليه والأرواح متعلقة به والأطياف تناديــه وتناجيــه والأمــلاك تطوق به وتتحرك من أجله.

**موسيقى الزمن عزفت من أجل أنغام البهجة:**

هذا جده عبد المطلب فقد طار به الخير وماج به السرور لمولد ابنه محمد صـلى الله عليه وسلم فأنصت لموسيقى الزمن وهى تعزف ألحان النشوة وترسل أنغام البهجة وتضـرب على أوتار الفرح وتترنم بأصوات حالمة تمسح عن القلب الكبير آثار الأسى والمستقبل السعيد وقف عبد المطلب يستنشق في وليده عبد الله ويجد في طفله ريح يوسف ويطمئن إلى أن ابنــه الشهيد عبد الله سيعود من جديد في الوليد الحفيد وأن ما مزقته المحن سيرقعه الزمن وتكفـر عنه الأيام.

**عبد المطلب يطعم الفقراء ابتهاجاً بمولده:**

عبد المطلب يرتشف كؤوس السعادة ويجدد شباب السيادة ويهتز هزة الطرب ويهزج مع النساء الحلوة بعد الأناشيد العذبة والأغاريد الرطبة ثم يلجا إلى البيت من أنعامه يريق دمها ويسكت فمها ثم يمزق أتعابها ويخلع جلبابها ليقدم لحومها وشحومها للفقراء وإذا ما للمعـوزين تحدث تحدثاً بنعمة الله وشكراً على ما أبلاه وأولاه ثم أعلن في الناس أنه سمى ابنه محمداً فلما عرف ما فصلت آمنة قال هو أحمد وهو محمد وليكونن أحمد الناس محمد الأنفـاس محمـود السيرة بين سكان الأرض والسماء.

## بنو هاشم يطلقون المحامد فرحاً به:

بنو هاشم يطلقون المحامد ويتبادلون أمناء المسرة ويعنتون أرجاء الأمل ويلقون طفلهم الوافد بغلاله من الرعاية الهاشمية الهاشة والنظرات الهاشمية الباشــة والإخــلاف الهاشــمية المعجبة بما منح من دقة وما امتز به صلى الله عليه وسلم من خفة وما برز فيــه صــلى الله عليه وسلم من الجمال والجلال ولقد تقدمت السيدة لا ثويبة جارت عمة أبي طالب فــي شــفق ودنف حيث تناولت طفل بني هاشم من آمنة وناولته من ثديها وتناول منها ما بل بـــه أوامــه وكان لديها أول سائل أمتصه فمه الشريف وأول غذاء نزل إلى بطنه في بدء حياتــه فتحقــق بذلك ما كان ليخطر ببالها إذ حصلت على حريتها وأغلقت صفحات عبوديتها وقال لهــا أبــو لهب اذهبي فأنتي حرة في اثر فرحه الشديد بابن أخيه.

## حليمة تتحدث عن بركات الوليد :

كان من عادة قريش ألا ترضع نساؤها الأبناء وكان لهم في ذلك وسائل وغايات ولكن أترك حليمة السعدية تحدثنا عن رضاعتها لمحمد صلى الله عليه وسلم قالت حليمة خرجت مع زوجي وابن لي صغير على أتان لي قمراء معنا شارف لنا والله ما تبغي بقطرة وما ننام ليلنــا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثدي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيــه ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت بالركب ضعفا وعجافا حتى قد قدمنا مكة نلتمس الرصفاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها محمد فتأباه إذا قيل لها أنــه يتيم وذلك أنا دائماً نرجو المعروف من أبى الصبي فكلنا نقول يتيم وما عسى أن تصــنع أمــه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري فلما أجمعنا علــى الانطلاق قلت لصاحبي والله إني أكره أن أرجع من بين صواحبي ولــم أخــذ رضــيعاً والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاً خذيه قال لا عليكي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قالــت فــذهبت إليه فأخذته وما حملني على أخذه إلا الحالم أجد غيره قالت فلما أخذته رجعت به إلى رحلــي فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتّى روى وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا بها حافل صلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعنا وبتنا بخير ليلة قالت يقول صاحبي حــين أصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت والله إني لأرجو ذلك.

## الباب الأول

## الفصل الثاني

## الأدب مع رسول الله

يشعر الإنسان[1] في قرارة نفسه بوجوب الأدب الكامل مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذلك للأسباب الآتية :

أمر الله تعالى كل مؤمن ومؤمنة أن يتعامل مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالأدب وجعله واجباً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (سورة الحجرات ١-٢).

فالرسول – صلى الله عليه وسلم – هدية السماء إلى الأرض وهبة الموجود إلى الوجود ومنة الله على المؤمنين قال تعالى :﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة آل عمران ١٦٤).

نعم يعلمهم الكتاب والحكمة ويبين لهم الأحكام ويفسر لهم القرآن ويفتى فيما يعرض عليه من حوادث ويقضي بينهم في الخصومات بشريعة الله وهو إمامهم في الصلاة وقائدهم في الحروب والغزوات وينظم الصفوف ويقسم الفئ ويضع المبادئ التي يتعامل بها الناس وكان القدوة والأسوة الحسنة يبين بالقول ويعلم بالفعل فهو المرجع الأعلى منه يتعلمون واليه يختصمون وإليه يأتمون ، مرجعه في ذلك كله الوحي متلو أو غير متلو قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾ (سورة النجم ٣-٧).

النبي – صلى الله عليه وسلم– إذاً كان هو كل شئ في حياة المؤمنين : فلا عجب إن كان له في نفوسهم هيبة وإعظاماً وله في قلوبهم حب وإجلال والى جانب هذا

فقد عظمه ربه وناداه بالرسالة تارة وبالنبوة أخرى فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة المائدة) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب ٤٥) ، وقال تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة النور ٦٣) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة المجادلة ١٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور ٦٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات ٣).

إن الله تعالى قد فرض على المؤمنين طاعته وأوجب محبته فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (محمد ٣٣-٣٤) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران ٣١) .

ومن وجبت طاعته وحرمت مخالفته لزم التأدب معه فى جميع الأحوال إن الله عز وجل قد اصطفاه فجعله إماماً وحاكماً قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء ١٠٥) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء ٦٥) ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب ٢١).

والتأدب مع رسول الله تفرضه الشرائع وتقرره العقول ويحكم به المنطق السليم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسـوله واتقـوا الله إن الله سميع عليم ﴾ .

**الأدب مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – حول الآية الكريمة :**

روى الإمام البخاري بسنده المتصل الى عبد الله بن الزبير أنه قال: قدم ركـب من بني تميم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : أبو بكر أمر القعقاع بن معبد – أي جعله أميراً عن الركب – وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس فقال : أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر : ما أردت خلافك فتحاربا حتى ارتفعت أصـواتهم فنزل فى ذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَـا تَشْـعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُـوبَهُمْ لِلتَّقْـوَى لَهُـمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُـونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات ١-٥).

قال العوفى: فى بيان معنى قوله (لا تقدموا بين يدي الله ورسـوله) نهـوا أن يتكلموا بين يديه وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بشئ حتى يقضي الله تعالى على لسانه.

وقال الضحاك لا تغضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم ، وقال علـى بن طلحة عن ابن عباس : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة وقال قتادة ذكر لنا أن أناساً كانوا يقولون لو أنزل فى كذا وكذا لو صح كذا فكرة الله تعالى ذلك[٢] .

وفي هذه الآية الكريمة يرسم المولى عز وجل منهجاً ويخط طريقاً للمـؤمنين يسيرون عليه مع الرسول الكريم مبني على التعظيم والتبجيل والاحترام والتوقير فليس لهم أن يسبقوه ولا أن يتقدموا عليه في قول ولا فعل ولا يقضوا أمراً قبل الرجوع إليه

ولا يقترحوا عليه شيئاً يفعله بل عليهم أن ينتظروا ويتمهلوا ويتركوا الأمر إليه يصرفه كيف يشاء حسبما أراه الله ويكونوا جميعاً تبعاً في كل الأمور.

وقد استجاب المؤمنون لهذا التوجيه الإلهي وتأدبوا مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما عاد مقترح منهم يقترح على الله ورسوله وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أن يدلي به وما عاد أحد منهم يقضي برأيه في أمر وحكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول الرسول صلى الله عليه وسلم [٣] .

وخير شاهد على ذلك ما رواه أحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجة عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه حيث قال له النبي:- صلى الله عليه وسلم – حين بعثه إلى اليمن بما تحكم قال بكتاب الله ، قال: النبي صلى الله عليه وسلم – فإن لم تجد قال فبسنة رسول الله قال النبي صلى الله عليه وسلم فإن لم تجد قال أجتهد ورأيي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله[٤] .

ومن هذا السياق يتضح أن معاذاً آخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل أن يرجع إليهم ويبحث فيهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله[٥].

وهذا الأدب الذي اخذ المؤمنون به أنفسهم اتجاه الله ورسوله إنما هو نابع من خوفهم من الله وخشيتهم له وتقواهم إياه ويقينهم بأن الله سميع لأقوالهم عليم بنياتهم وأعمالهم وسيجازيهم عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

**السورة تنهي المؤمنين عن الجهر ورفع الصوت عند رسول الله :**

افتتحت السورة بنهي المؤمنين عن الحكم بشئ قبل أن يأمر به الله ورسوله وفي هذا نهي عن التسرع والله يقول ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (الإسراء ١٠٥).

والخضوع للحق من شيمة ذوي الخلق والمروءة والنبل والفضل ولما كانت طاعة الرسول من طاعة الله قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (النساء ٨٠) جعل الله الأدب مع رسوله – صلى الله عليه

وسلم – وغض الصوت عنده امتحاناً لتقوى القلوب أما رفع الصوت فوق صوت النبي فقد نهى عنه.

ونهى عن الغلظة والجفوة والله يأمرنا بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب الإسلامية مع رسوله قولاً وفعلاً ومن قدم قولاً أو فعلاً بين يدي الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد قدمه على الله لأن الرسول لا يأمر إلا بما يأمر به الله عز وجل فهو لا ينطق عن الهوى وكل ما ينطق به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو وحي يوحى ويترجم الأدب مع أنبياء الله الأدب مع الله الذي أرسل الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين وقد بعث خاتم الأنبياء سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧).

أما الآيات التي بدأنا بها البحث فهي تترجم عن الأدب الإسلامي النفسي مع الله ومع رسوله ولنا فيه – صلى الله عليه وسلم – أسوة حسنة وقد فرض الله الأدب معه علينا وهذا ما يأمر به الذوق والعقلية الإسلامية السليمة والفطرة التي فطر الله الناس عليها في التشريع الإسلامي العظيم لم يلونها نفاق أو يدنسها كذب أو رياء أو تفقد الحياء من الله عز وجل قال سبحانه وتعالى في السورة التي بين أيدينا وهى سورة الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات٢)، هكذا يؤدب الله عباده الذين يجهلون أو يتجاهلون قدر النبي – صلى الله عليه وسلم – ويثني على أهل الذوق والأدب الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله وهم الذين يتبعونه ويقتدون به ويتخذونه أسوة حسنة ، أما جوامد القلوب وغلاظ الأكباد الذين جحدوا رسالته حتى تآمروا على دعوته وخططوا لقتله حتى هاجر بالليل والناس نيام ولكن عناية الله حفظته وكانت ترعاه وتلاحقه وتعصمه من الناس فهو وليه وحارسه والله يعلم رسوله تخليص العمل لله وحده لا شريك له ليعلم الناس، ويرشدهم للتي هى أقوم فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام ١٦٢-١٦٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (الجن ٢٠-٢٢).

ويقول سيدنا إبراهيم عليه السلام في الالتجاء إلى الله الذي لا ملجأ إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه فقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الشعراء ٧٨-٨٢) فنراه ينسب الخلق والهداية والإطعام والسقاية إلى الله عز وجل مع اعتقاده بأن كل شئ من عند الله وذلك كله من الأدب مع الله ما لا يخفى والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الروم ٤-٥).

ثم إن الآيات التي جاءت في سورة الحجرات تنهي الإعراب عن الغلظة التي كانوا يفعلونها مع رسول الله حيث كانوا ينادونه من وراء الحجرات ووجه اللوم إليهم ووصفهم بانهم لا يعقلون فيقول الحق تبارك وتعالى لرسوله الكريم في علاج ما أصابه من الضوائق التي سببها له جوامد القلوب وغلاظ الأكباد من أعداء الحق والهدى ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا واتبعوا أهوائهم فقد قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (الحجر ٩٧-٩٩) وذكر الله سبحانه وتعالى لرسوله هذا الأمر لأن الحقد يفسد الذوق ويطمس البصيرة ويظلم السريرة ويلوث السيرة فقال: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور ٤٠).

وبعد فالواجب على الإنسان أن يتأدب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طاعة لله الذي أمر باحترام نبيه وحبيبه والتأدب معه شاكرين لله فضله بإرساله بالشريعة السمحة ودعوته إلى وحدانيتها وتوضيح صراطه المستقيم ليدخل الناس في دين الله أفواجا.

## الهوامش

(١) يقصد بالإنسان هنا الإنسان المسلم.

(٢) تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص٢٠٥، ط محمد على صبيح القاهرة.

(٣) في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٣٨ للشهيد سيد قطب، مطبعة الشروق.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) تفسير ابن كثير، ج٤/٢٠٥ مرجع سابق.

## مراتب الأدب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم

إن أرقى أنواع الأدب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مركوز في الفطرة بديهي بالحس واجب بالعقل مفصل بالشرع يدعوا إلى الفضيلة ويرقى بصاحبه إلى الكمال ورفع الدرجات.

فحب رسول الله مركوز في قلب الإنسان المسلم منذ خلق الله آدم عليه السلام وعلمه الأسماء كلها ولم يكن آدم نفسه في حاجة إلى كل هذه الأسماء وإنما أجيال أبنائه جيلاً وراء جيل يريهم الله ويكشف لهم ما أراه لأبيهم آدم وهم في صلبه يتعلمون معه ثم أخرجهم الله من ظهره بعد أن تعلموا معه كل شئ ورأوا في هذه الأشياء صلاحهم ولمسوا رحمة ربهم الكريم وهديه عليهم وسألهم بعد ما علموا وتعلموا أن هناك من هو جدير بالربوبية غيره فأعلنوا انه وحده الرب الذي يهب وينعم ويأخذ يعطي ويبسط ويقدر كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (الأعراف١٧٢-١٧٣).

والملفت للعقل هنا أن الله عز وجل استخدم في هذه الآيات معنى الربوبية الذي يشمل كل أنواع الكلأ والرعاية والأنعام وأسباب السعادة والحياة الكريمة ومظاهر التربية والتقويم بالعطف الحاني تارة وبالحزم الرحيم تارة أحرى ورب هذا شأنه يجب بالفطرة أن يحب على قدر ما يملك ويسيطر ويعطي.

وحب الله ورسوله بديهي بالحدس لأن الإنسان قد خلق ضعيفاً يشعر بالحاجة إلى قوي يستند إليه ومن البديهي أن ذلك القوي الذي يجبر ضعف الإنسان ليس مخلوقاً مثله فإن كل مخلوق له جوانب ضعيفة ومن ثم فلابد أن يكون ذلك القوى إلها قادراً ورباً كبيراً قادراً مسيطراً يسند إليه ظهره ويلجأ إليه عند ضعفه ويتوكل عليه واثقاً من الاعتراف بعزته والدخول في رحمته كما قال سبحانه وتعالى:لنبيه الكريم ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الشعراء ٢١٧-٢٢٠) وهذه دعوة عامة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد كما وعد سبحانه وتعالى من يتوكل عليه بأنه وحده يقبله وييسر له أمره فقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق ٢-٣).

وحب الله ورسوله واجب بالعقل الذي أتاح له من القدرة على الانتشار والتحليق ما يجاوز به عنان الفضاء ويتجاوز به أعماق البحار ويسر له كثيراً من إمكانيات المعرفة والترقي فجعل الكون كتاباً مفتوحاً أمامه يستطيع أن يقلب النظر فيه دون مانع من تقليد أو عائق من وهم.

أما القيمة الثانية التي تجب على الإنسان أن يحبها أكثر مما يحب أهله وولده والناس أجمعين ونفسه التي بين جنبيه محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي عصمه ربه عصمة كاملة وصنعه على يديه ورباه تربية بريئة من النقائص منزهة عن العيوب وعندما استقامت الصنعة واستوى العود بعثة إلى الناس مثلاً كاملاً ونموذجاً راقياً وأسوة حسنة يقترب من خلقه القويم وسلوكه المستقيم كل من أراد أن يقترب من رسالته التي خلق من أجلها وهي تمام الخلافة لله وخلوص العبودية له التي ذكرها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات ٥٦-٥٨).

وحب الناس للنبي - صلى الله عليه وسلم - يختلف عن حبهم لله في النوع ولا يتساوى معه في الدرجة لأن الله عز وجل لم يطلب من الناس أن يحبوه في موضع إلا وقرن به حب النبي - صلى الله عليه وسلم- وما تحدث النبي - صلى الله عليه وسلم - عن حب الله إلا ووضع معه حبه وقد رأينا أن الله عز وجل جعل علامة حب الناس له أن يتبعوا نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله).

لذلك جاء عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - إليه يريد أن يعبر له عن مدى حبه له فقال له: يا رسول الله والله لأحبك أكثر من أي شئ إلا نفسي فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلمه ويعلم الأمة معه حتى أكون أحب إليك من نفسك ففهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ذلك إن كمال الإيمان يحتم أن يحب المؤمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثر من نفسه وبعد أن علم عمر ذلك قال: أما الآن يا رسول الله فلأنت أحب إلي من نفسي وفي هذا روى النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله الذي نقله إلينا سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده وفي رواية لأنس والناس أجمعين).

## الباب الثاني

## الفصل الأول

## النبي صلى الله عليه وسلم هو رحمة الله للعالمين

تغير وجه الأرض بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم من الظلام إلى النور ومن التفرقة إلى الوحدة ومن الضلالات إلى الحق ومن العداوة للمودة ومن القسوة للرحمة ومن الجاهلية والتخلف إلى الحضارة والمدنية. بعض هذه الجوانب نتناولها في:

الفرع الأول: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.

الفرع الثاني: الرحمة التي نالت أهل الكتاب به.

الفرع الثالث: رحمته بالإنسان والمرأة والعبيد والحيوان.

الفرع الرابع: طلب الخير العام لكل الأنام.

فنقول وبالله التوفيق

### وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

قال تعالى في محكم كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1] ، (وما أرسلناك إلا رحمة) أي للرحمة أو إلا حال كونك رحمة ، (للعالمين) الملائكة والإنس والجن، أما الملائكة فان الله تعالى مدحهم في كتابه الذي حمل معجزته.

وأما الثقلان فإن المؤمنين منهم سعدوا بإتباعه وفازوا بالنعيم الدائم يوم القيامة ، والكفار منهم رفع عنهم الخسف والمسخ والقذف وأنواع العذاب التي عذب بها من قبلهم هذا إلى يسر دينه وسماحة تعاليمه وكرم معاملته وسعة عفوه ولم يكن هذا لنبي ولا رسول سواه[2].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[3]، قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله تعالى لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلا للنبي -صلى الله عليه وسلم – فسماه رؤوفاً رحيماً وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[4]، قال الحافظ بن عبد الله الصديق الغماري وسماه نوراً قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ

مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾[٦]، وسماه كريماً في سورة الحاقة ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[٧]، وقال تعالى ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[٨]، وسماه مبيناً في سورة الدخان ﴿ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴾[٩]، وقال تعالى ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[١٠].

حتى أن السماء حرست بالملائكة وملئت بالشهب ومنعت من استراق الشياطين ببعثته – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى في سورة الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[١١].

وهو القائل – صلى الله عليه وسلم – "أنا الرحمة المهداة والنعمة المسداة".

فلقد أمر بها وحث عليها وجعلها في طليعة ما أمر به وحث عليه ومن ذلك:

١– جاءه رجل فأقبل عليه بين يديه "وقال يا رسول الله ما الدين؟ قال حسن الخلق ثم أقبل عليه من يمينه وقال يا رسول الله ما الدين؟ قال حسن الخلق ثم أقبل عليه من شماله وقال يا رسول الله ما الدين؟ قال حسن الخلق ثم أتى إليه من وراءه وقال يا رسول الله ما الدين؟ قال أما تفقه".

٢– قال – صلى الله عليه وسلم – "أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق"[١٢].

٣– دخل الأقرع بن حابس على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفى حجره الحسين بن على رضي الله عنهما يقبله فقال يا رسول الله أتقبل ولدك فوالله إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال – صلى الله عليه وسلم – "ما تفعل لرجل نزع الله الرمة من قلبه الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" ، وفى رواية "ولا تنزع الرحمة إلا من شقي".

**الرحمة التي نالت أهل الكتاب به – صلى الله عليه وسلم –**

لقد أصاب أهل الكتاب بمبعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – خير كبير وفوائد عظيمة منها:–

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١٣].

١- ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بخلع الأنداد وبمكارم الأخلاق وصلة الأرحام.

٢- ﴿ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾: عبادة الأصنام وقطع الأرحام. وجعل لله شريك أو ند أو ولد.

٣- ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾: المحللات وأبيح لهم كل شئ عدا ما نص عليه حرمته في الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

٤- ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾: لحم الخنزير والربا وغيره من كل ضار بالنفس أو بالمال أو بالغير.

٥- ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾: والإصر الثقل وقيل العهد فإن بني إسرائيل قد كان أخذ الله عليهم عهداً أن يقوموا بأعمال ثقال فوضع عنهم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – ذلك العهد وثقل تلك الأعمال والتي منها:

أ- غسل البول وكانوا إذا أصاب ثوب أحدهم أو جلده بول أو نجاسة قرضه وقطعه.

ب-تحليل الغنائم وكانوا إذا جمعوا الغنائم نزلت نار من السماء فأكلتها.

ج-مجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها إلا الإفضاء وكانوا إذا حاضت المرأة لم يقربوها.

د- عدم مسخهم وكانوا إذا خانوا عهد الله وأنبيائه مسخهم الله قردة وخنازير فرفع عنهم ذلك.

٦- ﴿ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾: والأغلال إشارة للأثقال والتي منها:

أ- ترك الاشتغال يوم السبت: فإنه روي أن موسى عليه السلام رأى يوم السبت رجلا يحمل قصباً فضرب عنقه.

ب- أوجب الدية: ولم يكن فيهم الدية وإنما كان القصاص عن كل الجروحات مهما صغرت والقتل.

ج- رحمتهم: بعدم قتل أنفسهم علامة بقبول توبتهم.

د- الستر: فقد كان أحدهم فعل ذنباً أصبح وقد كتب على عتبة داره[١٤].

٧- ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾:كتب الله لهم الفلاح في الآخرة وفي هذا يقول الصادق- صلى الله عليه وسلم – "ثلاثة لهم أجران وهم رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي وعبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل اشترى جارية فأدبها واعتقها ثم تزوجها وجعل عتقها مهرها".

## رحمته بالإنسان والمرأة والعبيد والحيوان

تربية الرحمة: ربى رسول الله -صلى الله عليه وسلم – المؤمنين على الرحمة صفو الحب ودليل السلام والأمن والله تعالى وصف نفسه بها مراراً وتكراراً. فقد من الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن جعل الرحمة في قلبه فكان ليناً عطوفاً فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[١٥]، ويمن بها على المسلمين إذ بعث إليهم هذا الرسول الرحيم ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[١٦]، ويجعل القسوة أمارة الكفر والتكذيب بالدين ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[١٧]، والرحمة ليست مطلوبة بالمسلمين وحدهم ولكنها للآدميين جميعاً قال -صلى الله عليه وسلم – "ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء"، لا بل إن الإسلام ليخطوا بوجدان الرحمة خطواته الكبرى فيتجاوز بها عالم الإنسان كله إلى عالم الأحياء فيشيع في القلب البشري بشاشة ذلك الوجدان ورقته وانعطافه اتجاه كل ذي حياة[١٨].

رحمته بالإنسان: ولم تكن أقواله – صلى الله عليه وسلم – وحدها دعامة الدعوة إلى هذا الإخاء وهذه الرحمة التي جعل منه حجر الزاوية في حضارة الإسلام بل كانت أعماله وكانت مثله هو هذا الإخاء هو أسمى صور كماله والرحمة بكل معانيها. كان رسول الله ولكنه كان يأبى أن يظهر في أي مظاهر السلطان أو الملك أو الرياسة الزمنية.

١- كان يقول لأصحابه "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله".

٢- خرج على جماعة من أصحابه متوكئاً على عصا فقاموا له فقال "لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا".
٣- كان إذا بلغ في مسيرة أصحابه جلس منهم حيث انتهى به المجلس لا يقيم أحداً ولا يتخطى أحد.
٤- كان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين.
٥- كان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره.
٦- كان يعود المرض ولو في أقصى المدينة.
٧- كان يقبل عذر المعتذر ولا يعنف ولا يتشدد.
٨- كان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة.
٩- كان لا يجلس إليه أحداً إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته.
١٠- كان أطيب الناس نفساً وأكثرهم تبسماً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب.
١١- كان إذا رأى أحداً في حاجة آثره على نفسه وأهله ولو كان بهم خصاصة.
١٢- كان لا يدخر شيئاً لغده حتى لقد توفى ودرعه مرهونة عند يهودي في قوت عياله.
١٣- كان جم التواضع شديد الحياء والوفاء حتى لقد وفد للنجاشي وفد فقام بخدمتهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحق أن أكافئهم [١٩].

رحمته بالمرأة: لقد نالت المرأة حريتها وحياتها وحقوقها في ظل شريعته – صلى الله عليه وسلم –
١- جعل لها حق الحياة بعدما كانت كمتاع ليس لها أي حق.
٢- حرم وأدها وهي صغيرة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾[٢٠].
٣- جعل لها الحق في الميراث بعد أن كانت هي متاع يرثه الآخرون قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ .... ﴾[٢١].
٤- جعل لها الحق في اختيار زوجها قال – صلى الله عليه وسلم – "البكر تستأذن وإذنها صمتها والثيب تستأمر في نفسها"، وامرأة ردت في عهده زواج أبيها.
٥- جعل لها ملكية خاصة فلها ممتلكاتها وأموالها ولها البيع والشراء والأجرة والهبة وسائر العقود والتصرفات.

٦- جعل خير الرجال من كان خيرهم للنساء فقال - صلى الله عليه وسلم - "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" ، "النساء لا يكرمهن إلا كل كريم ولا يهينهن إلا كل لئيم" ، وكان يقوم لبته فاطمة.

٧- كان في بيته في مهنة أهله يطهر ثوبه ويرقعه ويحلب شاته ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويقض حاجة الضعيف والبائس والمسكين.

٨- كان شديد الوفاء لزوجاته وأمهاته وبلغ من وفائه أنه ما ذكرت خديجة إلا ذكرها بأطيب الذكر حتى كانت عائشة تقول ما غرت من امرأة كما غرت من خديجة فملا كنت اسمعه يذكرها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كان تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان وكان قد فرش ردائه لحليمة السعدية لما زارته في كبرها ويقف مع عجوز في الطريق حتى يجيب سؤالها ويقضي حاجتها.

٩- بلغ من طيب نفسه ورقة قلبه أنه كان يدع بني بناته يداعبونه أثناء صلاته بل لقد صلى أمامه بنت ابنته زينب وهو يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها(٢٢).

١٠-وص - صلى الله عليه وسلم - في حجة وداعه وفى لحظة وفاته وهو يقول "استوصوا بالنساء خيراً".

<u>رابعاً رحمته بالعبيد:</u>

١- أغلق أبواب الرق الكثيرة المفتوحة الخطف والدين الإغارة وغيرها.

٢- حث وحبب في العتق وجعل ذلك كفارة لليمين وللظهار والقتل الخطأ.

٣- بل رغب في العتق لوجه الله تعالى وأخبر أنه بالعتق يعتق الإنسان نفسه من النار.

٤- كان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين.

٥- كان يأكل مع الخدم.

٦- وصى أصحابه فقال - صلى الله عليه وسلم - "إخوانكم حولكم لا تكلفونهم ما لا يطيقون وإن كلفتموهم فأعينوهم تطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تقيمون ولا تضربون".

٧- يقول انس خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لي لشئ فعلته لما فعلته ولا لشئ تركته لما تركته.

رحمته بالحيوان: ولم يقف بالبر والرحمة عند الإنسان بل عداهما إلى الحيوان كذلك:

١- كان – صلى الله عليه وسلم – بنفسه فيفتح بابه لهرة تلمس عنده ملجأ.

٢- كان يقوم بنفسه بتمريض ديك مريض.

٣- كان يمسح لجواده بكم قميصه.

٤- ركبت عائشة بعيراً فيه صعوبة فجعلت تردّده فقال عليك بالرفق[٢٣].

٥- قال – صلى الله عليه وسلم – "بينما رجل يمشي اشتد به العطش فوجد بئراً فنزل فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له" فقالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجر؟ قال: "نعم كل ذات كبد رطبة أجر" "وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته".

٦- قال – صلى الله عليه وسلم – "دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت فلا هو أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض". وهى غاية في استجاشة وجدان الرحمة لا تبلغها إلا العقيدة المؤمنة بالوشائج الكبرى بين الأحياء جميعاً وبوحدة الخالق ووحدة الخلق في هذا الوجود العريض[٢٤].

## طلب الخير العام لكل الأنام على اختلاف المذاهب والأديان

الدين الإسلامي دين سمح سهل لا يأمر إلا بخفض الجناح ولين الجناح فهو يحتم على المؤمنين أن يحبوا لغيرهم ما يحبوا لأنفسهم وان يدعوا الناس إليه على شرط الالتزام بالعدالة وعدم الشطط ويبلغوا الحق بأوضح بيان وأسهل طريق لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا يأمر بما لا يستطاع ولا يستطيع الإنسان أن يعتقد أو يعمل ما جهل حتى يعلم ولا يلزمه الجزم بمجرد الخبر ليطمئن إليه ويزول الشك فيه ويعلمهم أن يلتزموا خطة النبي – صلى الله عليه وسلم – في ذلك فانه كان يدعو إلى الله تعالى بالبينات والذكر الحكيم ويلاطف ويباحث الذين يعرض عليهم الدين فيتألفهم إذا نفروا ويمهل عليهم إذا عجلوا ولا تأخذهم به حدة إذا شددوا ولا يغضبه تهورهم قبل أن يتحققوا ولا يرهقهم حتى تزول شكوكهم بالبراهين التي تناسب عقولهم وتقبلها أذهانهم. هكذا يجب على أهل الدين أن تبعوه ولا يضمروا لأحدٍ سوءاً فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يعذر من جهل وشك وارتاب ويزيل ريبه وشكوكه بالبيان الشافي والدليل الواضح كذلك الشأن فينا معشر المسلمين فلندع الناس إلى ديننا بالتي هي أحسن

فإن وجدنا منهم شكاً عذرناهم ورأفنا بهم وأحسنا النصح لهم فلا نزال نوضح ما أشكل ونبين ما أبهم حتى يظهر الحق جلياً فإن رفضوه علواً واستكباراً حاربنا أفكارهم وآراءهم لا ذواتهم وأشخاصهم وثابرنا على إرجاعهم إلى طريق الصواب دون تعد وانتقام.

الم ترى أن المشركين لما استشهد سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه عم النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزوة أحد ومثلوا به تمثيلاً فظيعاً فلما أراد المسلمون أن يمثلوا كذلك بقتلى المشركين منعهم النبي – صلى الله عليه وسلم – من ذلك. إذ ليس المقصود من الجهاد عداوة لذات الأشخاص المحاربين وإنما كان لإزالة تلك الغمامة التي كانت تعمي أبصارهم عن رؤية النور الساطع والحق الأبلج والخير العميم ولم يقع القتل إلا لأن هؤلاء الأشخاص كانوا مظهر العداوة للحق.

وأدل من هذا أن وحشياً الحبشي الذي قتل حمزة رضي الله عنه لما آمن لم يؤاخذه النبي – صلى الله عليه وسلم – بل صار من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وما وقع من هند التي فعلت بجسد حمزة ما لا حاجة لذكره من التمثيل الفظيع حتى أخرجت كبده ولاكته تريد أكله حقداً وعداوة فأهدر النبي – صلى الله عليه وسلم- دمها يوم غزوة الفتح فلما ضاقت عليها الأرض تنكرت واتت النبي – صلى الله عليه وسلم- فبايعته على الإسلام فلما أسلمت كشفت عن وجهها فلم يجد عليها ولا عاتبها على ما فعلت بعمه.

كل هذه المواقف كافية للدلالة على أن الدين لا يؤاخذ أحداً إلا بعد أن يتضح له الحق بأجلى بيان من ذلك يتبين أن مقاصد الإسلام طلب الخير لكل الأنام ودفع الشر عنهم بكل ما تصل إليه يد الإمكان مع إطلاق حرية الضمير بشرط الإذعان إلى الحق إن ظهر أو عدم التعنت ولا يصح ترك المسترشد فإنه كالمريض دواؤه الإرشاد والبيان وإهماله ضرر عليه ولا يجب على العالم أن يتخلى عن تعليم الجاهل الذي يتردى بجهالته إلى حيث يضره ولا يصح للمدني الحقيقي أن أن يحرم أحدا من مشاركته في نعمة المدنية بل الواجب أن يشارك الكل بعضهم بعضا(٢٥).

وقد قال – صلى الله عليه وسلم – "الإنسان بنيان الرب ملعون من هدمه".

فأي إنسان هو صنعة الله ولا يجوز قتله إلا بإحدى الثلاث الكفر بعد الإيمان وقتل النفس بغير حق والزنا بعد الإحصان.

## الهوامش

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧

(٢) فضائل النبي في القرآن أو دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين لعبد الله بن محمد الصديق الغماري ، مكتبة القاهرة ص ٦٩، ٧٠

(٣) سورة التوبة آية ١٢٨. (٤) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٥) سورة النور آية ٣٥. (٦) سورة المائدة آية ١٥.

(٧) سورة الحاقة آية ٤٠. (٨) سورة النمل آية ٤٠.

(٩) سورة الدخان آية ١٣.

(١٠) سورة النور آية ٢٥ ، وفضائل القرآن المرجع السابق.

(١١) سورة الجن آية ٨-١٠.

(١٢) المولد النبوي الشريف هدية منبر الإسلام ربيع الأول ١٣٩٩ هـ، ص١١٤.

(١٣) سورة الأعراف آية ١٠٧.

(١٤) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن المرجع السابق جـ٢ ص ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ص ٢٧٣٥ ، ٢٧٣٦.

(١٥) سورة آل عمران آية ١٥٩. (١٦) سورة التوبة آية ١٢٨.

(١٧) سورة الماعون آية ١-٣.

(١٨) السلام العالمي والإسلام لسيد قطب، ص ١٠٧-١٠٩، طبعة ٩ دار الشروق ، بيروت لبنان.

(١٩)حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ٢٣٠ ط ٩ سنة ١٩٦٥م، مكتبة نهضة مصر.

(٢٠) سورة التكوير آية ٨. (٢١) سورة النساء آية ١١، ١٢.

(٢٢) حياة محمد المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١.

(٢٣) حياة محمد المرجع السابق، ص ٢٣١.

(٢٤) السلام العالمي والإسلام المر جع السابق، ص ١٠٧-١٠٩.

(٢٥) محمد المثل الكامل، تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، طبعة أولى ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م مطبعة دار الكتاب المصرية بالقاهرة، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨.

# الباب الثاني

## الفصل الثاني

## معاملته – صلى الله عليه وسلم – لأهل الكتاب كانت النموذج الأمثل

لا أدل على صدق القول من حسن العمل. ولقد كان – صلى الله عليه وسلم – مثلاً بشرياً فريداً وقدرة روحية عظيمة في مجال المنطق وحسن المعاملة وحملت أجمل الصور مع أهل الكتاب ففتح الله تعالى به أعين عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً. وتعالوا بنا نتناول هذه الجوانب في الفروع الأربعة الآتية:-

الفرع الأول: حسن استقبال الوفود ومجادلتهم.

الفرع الثاني: كفالة حرية العقيدة.

الفرع الثالث: رسالة إلى هرقل والمقوقس والنجاشي.

الفرع الرابع: الهدية وحسن الجوار والعفو. وإليك البيان ..

### حسن استقبال الوفود ومجادلتهم

المبادئ والمواقف التي تصنع الرجال والتاريخ قليلة الصدق لكنها عند العظماء موجودة وهي في محمد – صلى الله عليه وسلم – الرحمة والقدوة المكتملة بحسن الحديث ويجادل بالعلم ويعتمد على إيمان ويقين برب عليم.

وفد نصارى نجران: وفد على المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وفد نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكباً جاءوا يجادلونه في شأن عيسى عليه السلام وكان وصولهم إلى المدينة ودخولهم المسجد النبوي بعد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم لما فيه من إظهار دينهم فقال – صلى الله عليه وسلم – دعوهم. تآلفاً لهم رجاءً لإسلامهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم ولما فرغوا من صلاتهم عرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا. ثم قال لهم إن ربي أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا فخلا بعضهم ببعض ثم قال بعضهم والله لقد علمتم أن الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبياً إلا استؤصلوا وإن انتم أبيتم إلا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا إلى بلادكم، ثم استقر رأيهم جميعا على ألا يباهلوه واكتفوا بأن صالحوه على الجزية ثم كتب لهم كتاباً فطلبوا إليه أن يرسل معهم أميناً فأرسل معهم أبا عامر ابن الجراح رضي الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الأمة[1].

وفد عدي بن حاتم: قال عدي بن حاتم الطائي كنت امرأ شريفاً في قومي فلما سمعت برسول الله – صلى الله عليه وسلم – كرهته ، ما رجل من العرب أشد كراهية له حين سمع به مني، ولما علمت أن جيش محمد قد وطئ البلاد احتملت أهلي وولدي بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتاً لحاتم فسبيت فيمن سبى فلما قدمت السبايا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبلغه هربي إلى الشام منَّ عليها وكساها وحملها وأعطاها نفقة (وفى رواية أنها قالت يا رسول الله أمنن عليَّ فإني بنت أكرم العرب قال ابنة من أنتي قالت بنت حاتم الطائي قال لو كان أبوك لترحمنا عليه ثم قال لأصحابه أكرموها وارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فقالت ودعت له قائلة أصاب الله ببرك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عبداً إلا جعلك سبباً في ردها عليه) وأقبلت إلى الشام ثم أقامت عندي فقلت لها (وكانت امرأة حازمة) ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضيلة وإن يكن ملكاً فأنت أنت. فقلت والله إن هذا للرأي. ولما ذهبت إليه قال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فانطلق بي إلى بيته وإنه لقائدي إليه إذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت ما هذا بملك ولما دخل بيته تناول وسادة من أدم حشوها ليف وقال أجلس على هذه فقلت بل أنت فأجلس عليها بل أنت فجلست عليها وجلس الرسول على الأرض فقلت ما هذا والله بأمر ملك ثم قال يا عدي ألست من القوم الذين لهم دين فقلت بلى فقال ألم تأخذ ربع الغنيمة (كما هو شأن الأشراف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة ) قلت بلى قال فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك قلت أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل ثم قال (لعلك ياعدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك إنما يمنعك من ذلك ما ترى من كثرة عددهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور البيت ( الكعبة) لا تخاف ولعلك إنما يمنعك من ذلك أن ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، قال عدي وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها تحج البيت ورأيت المال يفيض. وقد أسلم عدي وحسُن إسلامه[٢].

بنى محمد – صلى الله عليه وسلم – مسجد وساكنه بعد الهجرة وآوى من بيت أبى أيوب إليها ثم جعل يفكر في هذه الحياة الجديدة التي استفتح والتي نقلته ونقلت دعوته خطوة جديدة واسعة فقد ألفى هذه المدينة وبين عشائرها من التنافر ما لم تعرف مكة لكنه ألفى قبائلها وبطونها تصبوا إلى حياة فيها من السكينة ما يجنبها الخلاف والحزازات التي مزقتها في الماضي شر ممزق وما يهيئ لها في المستقبل طمأنينة تطمع معها أن تكون أوفر من مكة ثروة وأعظم جاهاً وما كانت ثروة يثرب ولا كان جاهها أو لما يعني محمداً – صلى الله عليه وسلم – وإن كان بعض ما يعنيه إنما كان همه الأول والآخر هذه الرسالة التي عهد الله تعالى إليه في تبليغها والدعوة إليها والإنذار بها لقد حاربها أهل مكة من يوم بعثه إلى يوم هجرته أهوال الحرب فحال ذلك دون امتلاء كل القلوب بنورها كل الأنفس إيماناً بها من خوف أذى قريش وعنتها والأذى والعنت يحولان بين الإيمان والقلوب التي لما يدخل الإيمان فيها فيجب أن يؤمن المسلمون وأن يؤمن غيرهم بأن من اتبع الهدى ودخل في دين الله بمأمن من أن يصيبه الأذى ليزداد المؤمنون إيماناً وليقبل على الإيمان المتردد والخائف والضعيف، في هذا كان يفكر محمد – صلى الله عليه وسلم – أول طمأنينته إلى مسكنه بيثرب.

وإلى هذا كانت تتجه سياسته وفى هذا الاتجاه يجب أن يترجم لحياته هو لم يكن يفكر في ملك ولا مال ولا في تجارة بل كان كل همه توفير الطمأنينة لمن يتبعون رسالته وكفالة الحرية لهم في عقيدتهم ككفالتها لغيرهم في عقيدتهم يجب أن يكون المسلم واليهودي والنصراني سواء في حرية العقيدة وفى حرية الرأي وحرية الدعوة إليه، فالحرية وحدها هي الكفيلة بانتصار الحق وتقدم العالم نحو الكمال في وحدته العليا، وكل حرب على الحرية تمكين للباطل ونشر لجيوش الظلام لتقضي على جذوة النور المضيئة في النفس الإنسانية والتي تصل بينها وبين الكون كله من أزله إلى أبده صلة اتساق ومحبة ووحدة لا صلة نفور وفناء .. هذه الوجهة في التفكير هي التي نزل بها على محمد منذ الهجرة وهى التي جعلته جنوحاً للسلم راغباً عن القتال مقتصداً طول حياته أشد القصد فيه غير لاجئ إليه إلا لضرورة تقتضيه الدفاع عن الحرية دفاعاً عن

الدين وعن العقيدة. ألم يقل له أهل يثرب ممن بايعوه في العقيدة الثانية حين سمعوا المتجسس عليهم يصيح بقريش ينبهها لأمرهم "والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا" فكان جوابه "لم نؤمن بذلك" ألم تكن أول آية نزلت في القتال ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[٣]، ألم تكن الآية التي تلت هذه في أمر القتال قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[٤]، فتفكير في تأليف القلوب وتأمين المجتمع والعيش في امن ورحمة وسلام.

<u>رسله إلى هرقل والمقوقس والنجاشي</u>

محبة أهل الأديان عنصر أساسي في الدين. وحديث ذا شجون لصفاء كل عقيدة والرجوع للفطرة الأولى بوحدة الخلق ووحدانية الخالق وشهادة إنصاف وبلاغ دين إلى أصحاب دين، من أجل هذا بث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتبه ورسله إلى جميع ممالك الأرض وملوكها دعوة إلى الله وحده.

<u>كتابه إلى هرقل الروم:</u> بعد صلح الحديبية في سنة سبع أرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى كل ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وكان نص كتبه كلها يكاد يكون واحدا "أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإنما عليك إثمك وإثم من اتبعك"، فلما وصل كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع دحية الكلبي إلى قيصر هرقل الروم المسيحي قال انظروا لنا من قومه نسألهم عنه وكان أبو سفيان وقتئذ بالشام في تجارة مع جماعة من قومه فدعوهم إلى لقاء القيصر. وروى البخاري بسنده عن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره هرقل أرسل إليه ودعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم فقال "أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي"، فقال أبو سفيان " فقلت أنا" فقال "أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره" ، ثم قال لترجمانه "قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه"، قال فوالله إلا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبته ثم كان أول ما سألني عنه أن قال "كيف نسبه فيكم؟" قلت هو فينا ذو نسب (ثم أخذ يسال أسئلة وأبو سفيان يجيبه) فلما فرغ قال هرقل وقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد فيكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل

يتأسى بقول قيل قبله وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت لو كان من آبائه من ملك قلت رجلاً يطلب ملك أبيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقلت أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون فقلت ذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن دخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقوله حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت اعلم أنه خارج لك أكن أظن أنه منكم فلو اعلم إني أخلص إليه لتجشمت (حاولت وتمنيت) لقائه ولو كنت عنده لغسلت عند قدميه[٥].

**كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى المقوقس بمصر:** قال النبي – صلى الله عليه وسلم – عند منصرفة من الحديبية (أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله فقام حاطب قائلاً أنا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب" ونص الكتاب هو "من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجره مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٦] ".

ختم الكتاب وكان نقشه محمد رسول الله أول سطر الله والوسط رسول والأسفل محمد أدباً مع الله . ولما وصل حاطب إلى المقوقس وقرأ الكتاب قال المقوقس ما منعه إن كان نبياً بأن يدعوا على من خالفه وأخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم قال ألست تشهد أن عيسى رسول الله فماله حين أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله قال المقوقس أنت حكيم جاء من عند حكيم قال حاطب إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة

والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك.إن هذا النبي – صلى الله عليه وسلم – دعا الناس فكان أشدهم عليهم قريش وأعداهم عليه يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام إلا كبشارة عيسى بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل وكل نبياً أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام ولكنا نأمرك به. قال المقوقس إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى (أي معرفة المستور ويخبر بالأسرار) وسأنظر ويصف حاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيقول المقوقس أفي عينيه حمرة قال حاطب ما تفارقه قال المقوقس أو بين كتفيه خاتم ويركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزئ بالثمرات والكسر (يرضى) لا يبالي ما لقي من عم أو ابن عم (في سبيل دعوته) قال حاطب هذه صفته قال المقوقس لقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج من الشام وهناك مخرج الأنبياء فأراه قد خرج من أرض العرب ثم قال القبط لا يطاوعوني في إتباعه ولا أحب أن يعلموا بمحاورتي إياك وأنا أضن بملك فارجع وحمله كتاباً وهدية(٧).

<u>**كتابه – صلى الله عليه وسلم – ورسوله إلى النجاشي ملك الحبشة:**</u> وجه النبي – صلى الله عليه وسلم – عمرو بن أمية الصمدي بكتاب للنجاشي ملك الحبشة على هذا النمط من كتاب المقوقس وفى آخره "وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني ادعوك وجنودك إلى الله عز وجل فلقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى " ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام حيث وضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض وقال لعمرو إني لأعلم والله أن عيسى بشر به أعواني بالحبشة قليل فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب ثم أعلن إسلامه على يد جعفر بن أبي طالب وكتب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بإسلامه وإتباعه ومن آمن معه وبعث إليه – صلى الله عليه وسلم – ليزوجه أم حبيبة وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار(٨).

## الهدية وحسن الجوار والعفو[9] في خمس نقاط

المعاملة وإسلام زيد: فقد أباح الإسلام التعامل بأمانة مع المسلمين وغيرهم بيعاً وشراءً وإجارة وسواها من المعاملات المشروعة الخالية من الغش والخداع والقهر ولقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه يتعاملون مع اليهود المجاورين للمدينة تجارة ويستدينون منهم ويسددون في المواقيت وأساس هذه المعاملة قوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾[10] ولأن الأصل في التعامل التجاري الحل فلا يحرم إلا بدليل ولا دليل على تحريم التعامل معهم لقوله صلى الله عليه وسلم "لهم ما لنا وعليهم ما علينا".

ولقد ثبت بأدلة كثيرة منها ما يدل على تعامل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أهل الكتاب منها:

روى الحاكم وغيره عن زيد بن سعنة أحد أحبار اليهود الذين أسلموا أنه قال "لم يبقى من علامات النبوة شئ إلا وقد عرفته في وجه محمد – صلى الله عليه وسلم – حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمراً إلى أجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر أي عدو الله أتقول لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أسمع فوالله لولا ما أخاف فوته لضربت بسيفي راسك ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينظر إلى عمر في سكون وتؤده وتبسم لما قال "أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الطلب (التقاضي) اذهب به يا عمر فأقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رُعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه محمد – صلى الله عليه وسلم – حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما قد أخبرتهما أشهد أني رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد – صلى الله عليه وسلم – نبيا".

فأنت ترى من هذا الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – باع تمراً لهذا الحبر اليهودي لأجل وهو دليل على تعامله مع أهل الكتاب وإنه كان حليماً حين يجهلون وقد عرفت أن هذا الحلم أكسب حبراً جليلاً أعلن إسلامه بسبب حلم الرسول –

صلى الله عليه وسلم – الذي هو من أماراته عندهم في التوراة وقد حرم الإسلام غصب أموال الكفار المسالمين وسرقتها لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[11].

الهدية وحسن الجوار: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره"[12].

ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها عند تفريق الأضحية "ابدئي بجارنا اليهودي".

ويروى أن شاة ذبحت في أهل بين عبد الله بن عمر فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودي ثلاث مرات سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

وقال صلى الله عليه وسلم "الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقاً وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران أما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار وأما الجار الذي له حقان فجار مسلم له حق إلا سلام وحق الجوار وأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم له رحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم"[13].

عيادة الذمي والوقوف لجنازته: من حق المسلم على المسلم أن يعوده إذا مرض وعن عيادة الذمي فقد قيل كذلك تجوز عيادته إذا مرض إذا رجى منها مصلحه له أو للعائد أو كان قريباً أو جاراً ولحديث ثابت عن أنس أن غلاماً من اليهود ( كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ) مرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر إليه أبيه وهو عند رأسه فقال له أطع أبا القاسم فاسلم فقام النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يقول "الحمد لله الذي أنقذه بي من النار"[14].

ولقد مرت جنازة برسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقام لها وقام أصحابه فقالوا يا رسول الله إنها جنازة يهودي قال "أليست نفساً إذا رأيتم الجنازة فقوموا".

والشافعي والحنفية والجمهور يندبون تعزيته كعيادته وأحمد في الأصح تعزيتهم كما نعودهم فنقول في تعزيتهم بمسلم (أحسن الله عزاءك وغفر لبيتك) وعن الكافر (أخلف الله عليك)[15].

زواجه – صلى الله عليه وسلم – وإسلامها: صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي الذي كثيراً ما تآمر على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمكن الله رسوله منه ومن قومه وأسر مائة بيت من قومه فلما تزوج النبي – صلى الله عليه وسلم – صفية اعتق الصحابة كل من عنده – وقد جاءت صفية يوماً لنبي صلى الله عليه وسلم وقالت إن عائشة وحفصة تعيرانني فيقولان لي يا ابنة اليهودي فقال لها النبي – صلى الله عليه وسلم – قولي أبي نبي وعمي نبي وأنا زوجة نبي فأبي موسى وعمي هارون وزوجي محمد – صلى الله عليه وسلم – .

الدرع المرهونة: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع يهود المدينة ولم تنسخ هذه المعاملة ولم تتغير حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعامل مع اليهود فلقد روى أصحاب السنين والصحاح من الحديث وأهل الثقة من كتاب السير أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (توفى ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً عند يهودي)[١٦].

## الهوامش

(١) محمد المثل الكامل، المرجع السابق، ص ١٢٣، وانظر نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري بك طبعة هدايا مجلة الأزهر ١٤١٢ هـ، ج٤، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨.

(٢) محمد المثل الكامل، المرجع السابق، ص ١٢٦ ، ١٢٧.

(٣) سورة الحج آية ٣٩.

(٤) سورة الأنفال آية ٣٩ ، وانظر حياة محمد لمحمد حسين هيكل، المرجع السابق، ص ٢٢٠ ، ٢٢١.

(٥) عطاء الرحمن، ص ١٤٤-١٤٩.

(٦) سورة ال عمران آية ٦٤.

(٧) فقه وسيرة نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – ، مواقف وقضايا تأليف سعيد هارون عاشور، ص ١٦١-١٦٣، طبعة مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٨٥م.

(٨) عطاء الرحمن المرجع السابق، ص ١٤٨.

(٩) سورة المائدة آية ٥.

(١٠) سورة القصص آية ٧٧، وانظر عطاء الرحمن المرجع السابق، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(١١) الحديث عن العفو ، انظر ص ١٥.

(١٢) من وصايا الرسول – صلى الله عليه وسلم – تأليف طه عبد الله عفيفي، المجلد الأول، ص ١٧٩، طبعة دار الاعتصام.

(١٣) حق الجار ضمن سلسلة الحقوق تأليف طه عبد الله عفيفي، ص ١٧-٣٢، طبعة دار الاعتصام ١٩٧٩م.

(١٤) حق الجار المرجع السابق، ص ٥٧.

(١٥) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي تحقيق الشيخ طه أبو طالب شاهين، ص ٩٥، مكتبة أسامة.

(١٦) حق الجار، ص ١٧، ومن وصايا الرسول، ص ١٧٩.

## الباب الثالث

## الفصل الأول

## معاهداته – صلى الله عليه وسلم – لليهود بالمدينة

اقرب طريق إلى سعادة المجتمع وحدة مكوناته وأفراده، والتفرقة هي أعضل داء ينفث في عضد الدولة ، والقائد الناجح هو الذي يستطيع جمع شعبه حوله على اختلاف مذاهبهم وأفكارهم ودينهم ويعهد ذلك في وثيقة الحكمة لصالح المصلحة العامة، وهذا ما سنستعرضه من خلال الكلام على :-

الفرع الأول: تأمين المدينة بوحدة أهلها. الفرع الثاني: عقد الموادعة.

الفرع الثالث: مواقف اليهود. فنقول بعون الله ....

**تأمين المدينة بوحدة أهلها من خلال نقطتين:-**

من هم اليهود؟ اليهود أمة تدين بالتوراة كتاب موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم من نسل يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وهم والنصارى المسمون بأهل الكتاب في القرآن. واليهود حرفوا التوراة كثيراً واخفوا منها كثيراً، وقتلوا أنبياء الله تعالى ورموا مريم الطاهرة بالزنا وحاولوا قتل المسيح عليه السلام، لا يؤمنون بعيسى ولا محمد عليهما الصلاة والسلام. وهم يؤمنون بالله تعالى وببعض الأنبياء وإن كانوا يرون أن الله فقير وبخيل تعالى الله عن زورهم علواً كبيراً وعلى كلٍ منهم أهل كتاب من حيث المعاملات.

نظرة نبوية: كان نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – بعد هجرته بقليل يعرف ما يتناجى به أغنياء اليهود وعبد الله بن أبي بن سلول وشيعته من سراة يثرب ورأى – صلى الله عليه وسلم – ألا يبادرهم العداء فهو في موقف شديد ، إنه لفي حاجة إلى أن يتألف قلوب أهل المدينة جميعاً، ولقد نجح في عقد الصلح بين الأوس والخزرج وتصافوا إلى حبة القلب فأصبحوا الآن كأن لم يكن بينهم من قبل دم ولا ثارات وهو يشعر أن من واجبه أن يجمع كلمة أهل المدينة التي نزل بها لاجئاً مستنصراً ليستطيع مواجهة قريش عندما تطارده.

ودعا الناس جميعاً إلى المسجد فحضهم على الوحدة والتعاطف ثم إنه اقترح أن تكتب صحيفة يتفق فيها الجميع على أن يتحابوا وعلى أن يكونوا صادقين وعلى أن يكونوا أمة واحدة من دون الناس وأن يعطوا المحتاجين وأن يراعوا حق الجار وألا يجيروا قريشاً ولا من نصرها وأنه لا بغي ولا عدوان ولا إثم فمن قتل يقتل ومن جرح غيره أو آذاه جوزي بمثل ما صنع، وأن اليهود والمسلمين حلفاء وإن اختار اليهود الإسلام فهو خير وإن بقوا على دينهم فلهم أموالهم ومعابدهم آمنين عليها ولكن عليهم جميعاً أن يحاربوا من يهاجم يثرب وأن ينفقوا من أموالهم على الحرب.

ومضى محمد – صلى الله عليه وسلم – يلاطف اليهود ويرتفق بهم على كره من بعض أهل المدينة الذين تعودوا أن يعاملوا اليهود بطريقة مختلفة على أنه استطاع أن يقنع من كره هذا الأسلوب بإن ما جاء به إنما هو الإخاء والرحمة.[١]

**عقد الموادعة:**

روى ابن إسحاق فقال "وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم واقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبي – صلى الله عليه وسلم – بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس والمهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين." ثم سمي كل بطون يثرب "وبنوا عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنوا الحارث وبنوا جشم وبنوا عمرو بن عوف وبنوا النبيت وبنوا الأوس" مع كل هؤلاء عبارة (يتعاملون معاقلهم الأولى كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين) ثم فيه:-

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف فداء أو عقل[٢]، وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو

ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمناً مؤناً في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن . وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين، ولا متناصرين عليهم. ثم يقول "وإن المتقين على أحسن هدى وأقومه". ثم يقول "وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله تعالى وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شئ فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم".

ثم في نفس الصحيفة موادعة اليهود وفيها:

"وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين. لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (يملك) إلا نفسه وأهل بيته". ثم أخذ يسمي يهود المدينة "وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ويهود بني جشم ويهود بني ساعة ويهود بني الأوس ويهود بني ثعلبة". ثم قال "وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد – صلى الله عليه وسلم – ولا ينحجر على ثأر جرح وأنه من فتك فبنفسه فتك إلا من ظلم، وأن الله على أثر هذا وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون (حاجز) الإثم، وإنه لم يؤثر امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين

وإن يثرب حرام جرفها لأهل هذه الصحيفة. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من جدل أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد – صلى الله عليه وسلم – وإن الله على ما اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب. وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه وأنهم إذا دعوا إلى

مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب الدين. على كل أناس حصنهم من جانبهم الذي قبلهم – وإن البر دون الإثم – لا يكسب كاسب إلا علـــى نفســـه. وإن الله علـــى أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره . وإنه لا يحول هذه الكتابة دون ظالم وآثم. وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم. وأن الله جار لمن بر وأتقى ومحمد – صلى الله عليه وسلم –".[٣]

**مواقف لليهود:**

ومع حسن معاملة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لهم والبر بهم ومراعـــاة جوارهم والحفاظ على حرماتهم وأنهم أهل كتاب وبينهم عقد موادعة. ولكن عاد اليهود لطبيعتهم الأولى فنقضوا عهد الله تعالى وعهد رسوله – صلى الله عليه وسلم – وكانت منهم معاونات لقريش وللأحزاب على المدينة وكانت غـــدرات فكانـــت لأجـــل ذلـــك غزوات.

١- لقد كشفوا عورة امرأة مسلمة من الأنصار في بني قينقاع ولما استنجدت بمسلم دافع عنها بقتل مؤذيها قتلوه فكانت لأجل ذلك غزوة بني قينقاع.
٢- حاول يهود بني النضير إلقاء صخرة كبيرة على النبي – صلى الله عليه وسلم – لما كان في ديارهم طلباً لمعاونتهم في دية رجلين وكان بينهم في ذلك عهداً.
٣- وبنوا قريظة نقضوا العهد واجتمعوا مع قريش في حربها ضد المدينـــة فـــي غزوة الأحزاب.
٤- ويهود خيبر نقضوا العهد بل كانوا أعظم محرضي الأحزاب ضـــد المســـلمين والمدينة.
٥- قام ابن رزام رئيس اليهود بالسعي في تحريض العرب ضد المسلمين[٤].

حتى كتب الله عليهم الجلاء تقول مفتتح سورة الحشر:

بسْم الله الرحمن الرحيم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيـــزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْـــرِ مَـــا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَـــا أُولِـــي

الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَـذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٥]

**العفو عن صاحبة الشاة المسمومة**

أهدت إحدى نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث علم أنها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء رضي الله عنه فمات لوقته واحتجم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجيئ له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة فسألها عن سبب ذلك ؟ فأجابت قلت إن كان نبياً لن يضره وإن كـان كاذباً أراحنا الله منه فعفا عنها عليه الصلاة والسلام[٦].

وقيل لما بلغه – صلى الله عليه وسلم – موت بشر بسببها عفا عن المرأة فـي حق نفسه وقتلها لقتلها بشر[٧].

**الهوامش**

(١) محمد رسول الحرية تأليف عبد الرحمن الشرقاوي، ص ١٥٤ ، ١٥٥. طبعة عالم الكتب القاهرة مطبعة مخيمر، طبعـة رمضـان ١٣٨١هـ فبرايـر ١٩٦٢م.

(٢) قال ابن هشام المفرح المثقل بالدين والكثير العيال.

(٣) نص الصحيفة من الروض المرجع السابق، ج٢، ص٢٤١، ٢٤٢.

(٤) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للأستاذ عباس محمود العقـاد، ص ٢١٠، ٢١٥بتصرف طبعة دار السلام بالقاهرة ١٩٧٢م.

(٥) سورة الحشر آيات ٢-٤.

(٦) نور اليقين للخضري، ص ٢٥٨.

(٧) الروض الأنف، ج٤، ص ٦٢-٦٣.

## الباب الثالث

## الفصل الثاني

## وصيته – صلى الله عليه وسلم – بالقبط

## وإنجابه من مارية عليها السلام

لما كان أقرب أهل العقائد للإسلام وأقلهم عداوة للبشرية ومبادلتهم للمودة وحسن جوزهم هم النصارى ونصارى مصر خاصة. كان حتماً أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يوصي بهم إكراماً في المعاملة وإحسانا في الجوار خاصة وقد تزوج هو – صلى الله عليه وسلم – منهم وهو من نسل منهم في جده إبراهيم عليهما الصلاة والسلام لنرى ذلك في :-

<u>الفرع الأول</u>: وصيته بالقبط. <u>الفرع الثاني</u>: مارية وإبراهيم.

<u>الفرع الثالث</u>: رباط أهل مصر إلى يوم القيامة.

**<u>وصيته – صلى الله عليه وسلم – بالقبط:</u>**

يروى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً"[١] أما الذمة فإنهم أهل كتاب يدينون بالمسيحية وهم أقرب الناس للمسلمين كما قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾[٢]، وأما الرحم فهي رحمان رحم قديمة بالسيدة هاجر أم إسماعيل ابن إبراهيم عليهما الصلاة السلام ورحم حديثة هي رحم مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: "استوصوا بأهل مصر خيراً فإن لكم فيهم نسباً وصهراً" ، فالنسب نسب إبراهيم القديم والصهر هو مصاهرة النبي – صلى الله عليه وسلم – لهم في مارية.

ولما بلغ حاطب رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المقوقس السابق ذكرها[٣] أعظم الكتاب وطواه ووضعه في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ، وكتب المقوقس كتابه للنبي صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم مصر سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى وقد كنت أظن يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبثياب".

والهدية جاريتان هما مارية وسيرين وبغلة وحمار وفرس وبعض من عسل بنها وقد دعا له النبي – صلى الله عليه وسلم – بالبركة وأثواب من نسيج مصر وألف مثقال من ذهب وطبيب يقال أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رده وقال ارجع إلى اهلك فنحن قوم لا نأكل حتى نجوع أو إذا أكلنا لا نشبع. والأرجح رده لعدم ثقته فيه أما

التداوي فقد أمر – صلى الله عليه وسلم – لقوله "تداوو عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا الهرم"(٤).

وما أقرب الشبه بين السيدتين الكريمتين هاجر ومارية فكلتاهما كانت ١- مصرية. ٢- هدية. ٣- تزوجها نبي. ٤- أنجبت له ولداً (فهاجر كانت هدية من السيدة سارة إلى زوجها خليل الرحمن فولدت له ابنه البكر إسماعيل، ومارية كانت هدية المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم وقد ولدت له إبراهيم). ٥- وكلتاهما جيئ بها لأرض الحجاز فسكنت أولاهما مكة وسكنت أخراهما المدينة المنورة. ٦- واكتملت أوجه الشبه بينهما عندما ولدت مارية إبراهيم بعد فترة تقرب من عشرين عاماً لم يرزق فيها صلى الله عليه وسلم بمولود بعد ابنه عبد الله آخر أولاده من خديجة رضي الله عنها.

وكذلك هاجر أنجبت من إبراهيم وهو كبير السن وكانت زوجه سارة معه ولم تنجب رغم زواجهما لمدة طويلة.

**مارية وإبراهيم عليهما السلام:**

قال ابن هشام وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيمة قال أم إبراهيم مارية سرية النبي صلى الله عليه وسلم التي أهداها إليه المقوقس من حفن(٥) من كورة أفصنا. وقال السهيلي وأهدى مارية مع حاطب بن أبي بلتعة وحيره ولى ابن رهم لما أرسلهما إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعوه إلى الإسلام وأهدى معها أختها سيرين وهى التي وهبها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لحسان بن ثابت شاعره فأولدها عبد الرحمن بن حسان(٦)، وكان يفتخر أنه ابن خالته إبراهيم ابن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يحب مارية فقد روت السيدة عائشة قالت: "ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ذلك لأنها كانت جميلة من النساء وأعجب بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وكان أنزل أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان وكانت جارتنا فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم – عامة النهار والليل عندها حتى فرغنا لها فجزعت فحولها إلى العالية فكان يختطف إليها هناك فكان ذلك أشر علينا ثم رزق منها الولد وحرمناه منه"(٧).

وكان مولد إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ومات يوم الثلاثاء من شهر ربيع الأول سن عشر وفى صحيح البخاري أنه عاش سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً ويروى أنه لم ثقل إبراهيم ذهب إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – ومعه جماعة من أصحابه فإذا إبراهيم يجود بنفسه فوضعه في حجره وذرفت عيناه فقيل له "يا نبي الله أنت أحق من عرف لله حقه فيما أعطاه وأخذه منه"، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم- "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ولولا أنه قول صادق

وموعود جامع وسبيل مأتيه وأن الآخر لاحق بالأول لوجدنا عليك أشد ما وجدنا وإنا عليم يا إبراهيم لمحزونون"، وغسله الفضل بن عباس ودفن في البقيع إلى جانب عثمان بن مظعون، وجلس رسول الله -صلى الله عليه وسلم - على شفير قبر إبراهيم، ونزل في العين فأمر بسدها وقال "أما أن هذا أمر لا يضر ولا ينفع ولكنه إذا عمل الرجل عملاً أحب الله أن يتقنه"، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجر فوضع عند رأس إبراهيم ورش على قبره الماء.

وكسفت الشمس يوم موت إبراهيم فيقول الناس إنما كسفت الشمس لموت إبراهيم بن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا حياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله"، وبعد مضي عام من وفاة ابنها إبراهيم توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[٨] في ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة.

وتوفيت مارية رضي الله عنها سنة ستة عشر في خلافة عمر رضي الله عنه وكان عمر هو الذي يحشر الناس إلى جنازتها بنفسه[٩]، وكان وفتها في شهر المحرم، وصلى عليها عمر ودفنها في البقيع[١٠].

**رباط أهل مصر إلى يوم القيامة:**

قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - "إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فإنهم خير أجناد الله في الأرض هم وأهليهم في رباط إلى يوم القيامة".

إن القلوب العامرة بحب الله تعالى وحب الخير للنفس وللغير وترفض الإيذاء أياً كان نوعه ومصدره وعلى من وقع. إن هذه القلوب جديرة باحتواء المشاكل وإذابتها، وصد العدو بقوتها وهى كفيلة بأن تبعث في النفس العزة والإباء وفى الجسد القوة والإخاء.

ولابد أن تكون هناك قيم عليا يتفانى من أجلها الأبطال ويضحوا بأرواحهم في سبيل أن تعز أمتهم هذه القلوب كانت ولا تزال وستستمر بإذن الله تعالى (قلوب أبناء مصر جميعاً) مترابطة مؤتلفة تحقيقاً لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - "وهم وأهليهم في رباط إلى يوم القيامة" وهو الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ولقد منَّ الله تعالى على مصر بموقعها فكانت للشرق مرموقة المكانة. وبالأزهر فكانت جديرة للشعوب بالإمامة. وبرجالاتها عزيزة الجانب قوية الإرادة.

إن الأزهر بمصر والذي جعلها قبلة العالم كله منهلاً للدين والعلوم كان أهلها أكبر الناس وأولهم وأولاهم بتطبيق العدل الذي عرفوه في دينهم وكتبهم ورفض الظلم الاستعمار.

فمنه كانت قولة الحق ومنه انطلقت صولة الحق، والرد على ضلالات الفكر والصد لهجمات المستعمر وإن أساء فهمها المغرضون. ولضيق المقام، اضرب صوراً قليلة حياً على الترابط وقوة جندها:

١- صدت مصر حملات التتار والمغول وهجمات الصليبيين.
٢- الثورات ضد الحملات الفرنسية والإنجليزية وإجلائها.
٣- ثورات ١٩١٩م ، ١٩٥٢م تدل على الوحدة ونيل الاستقلال.
٤- حرب أكتوبر والنهوض بوضع مصر في الرأي العام الدولي والعالمي.
٥- الاهتمام بحل مشاكل وقضايا الدول العربية والأفريقية وغيرها.

### الهوامش

(١) فقه وسيرة نساء النبي، المرجع السابق، ص ١٦٨.
(٢) سورة المائدة آية ٨٢. (٣) راجع ص١٠.
(٤) فقه وسير نساء النبي، ص ١٦١-١٦٤ بتصرف.
(٥) قرية حفن وهى إحدى قرى محافظة المنيا حالياً، انظر فقه وسيرة نساء النبي، المرجع السابق، ص ١٦٥.
(٦) الروض الأنف، شرح سيرة ابن هاشم للسهيلي، ج١، ص ٢١٦.
(٧) فقه وسيرة نساء النبي، ص ١٦٥-١٦٦.
(٨) فقه وسيرة نساء النبي، المرجع السابق، ص ١٦٩.
(٩) الروض الأنف، ج١، ص ٢١٦.
(١٠) فقه وسيرة المرجع السابق، ص ١٦٩، (تابع "٤") وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الريان للتراث والمكتبة السلفية، ج٢، ص ٦١٣.

## الباب الثالث

## الفصل الثالث

# نهيه صلى الله عليه وسلم عن إيذاء أهل الكتاب واعتبارهم في ذمة الله ورسوله

إن ديناً يرأف بالحيوان يطالبنا بالإحسان إليه ويحرر العبيد ويرد للمرأة حق الحياة، وهو ينهي عن الإيذاء والضرر عامة وإلى أصحاب الأديان خاصة. لهو دين يحق أن يستخلف فيعدل وأن يمكن فيقيم السلام ويحيي الأمن. وهذه بعض الجوانب نتناولها في بعض الفروع:

الفرع الأول: النهي عن الإكراه في الدين.

الفرع الثاني: عهد عمر ببيت المقدس وعمرو بمصر.

الفرع الثالث: حرمة قتل الذمي وأذاه.

الفرع الرابع: نحو الوحدة. وإليك البيان ...

## النهي عن الإكراه في الدين

فلكل مواطن الحق في البقاء على دينه فلا يكره على الإسلام لقوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[1]. وقد حرص المسلمون على تنفيذ هذا المبدأ القرآني منذ العهد النبوي إلى اليوم فلم يرو التاريخ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أكره أحداً على الإسلام من أهل الكتاب كما لم يروه عن أحد من خلفائه وأمراء المؤمنين فالتسامح الديني هو الأصل في معاملة غير المسلمين[2]. وهذه صور للتخيير وعدم الإكراه والعفو:–

عمرو بن الجموح: وكان سيداً في قومه ووقع في الأسر فيعرض عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – الإسلام عرضاً جميلاً فيقول له: "يا محمد إن تسأل مالاً نعطه وإن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر"، فيتركه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفي اليوم التالي يعرض عليه كذلك فيرد بنفس الرد، وفي اليوم الثالث مثل ذلك فيخلي النبي – صلى الله عليه وسلم – سراحه. فيخرج الرجل إلى أقرب ماء فيغتسل فيه ويرجع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ويقول له: "يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغض إليّ من وجهك فقد صار وجهك أحب الوجوه إليّ، ووالله ما كان بلد على ظهر الأرض أبغض إليّ من بلدك فقد صار بلدك أحب البلاد إليّ أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله".

سفانة بنت حاتم أكرم العرب: نصر الله تعالى عليا رضي الله عنه وسريته على قبيلة طيئ فغنم غنائم كثيرة وكان في سبيهم سفانة بنت حاتم الطائي فقالت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – "بان الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز ما لي خدمة فمنّ على منّ

الله عليك إن أبي كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفشي السلام، قال ابنة من أنـت ؟ قالت أنا ابنة حاتم الطائي قال لو أكن أبوك مؤمناً لترحمنا عليه قالت أمنن علـيّ يـا رسول الله قال خلو عنها وارحموا عزيز قوم ذل" فقالت تدعوا له "أصـاب الله ببـرك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجو ولا سلب نعمة كريم إلا جعلك سبباً لردها عليـه" وزودها صلى الله عليه وسلم بمال وزاد وكساها وراحلة فخرجت إلى الشام خلف عدي أخوها الهارب فقالت أرى أن تلحق به فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضل وإن يكن ملكـاً فأنت أنت فقال والله إن هذا هو الرأي فجاء عدي فأسلم[٣].

التاريخ يشهد: ومن الأمثلة على عدم الإقرار

التاريخ يشهد: ومن الأمثلة على عدم الإكراه في عهود الخلفاء أن عمر بـن الخطـاب رضي الله عنه لقي عجوزاً نصرانية فقال لها أسلمي تسلمي فإن الله بعـث محمـداً – صلى الله عليه وسلم– بالحق فقالت أنا عجوز والموت إلي قريب فلم يكرهها بل قـال اللهم أشهد وتلا هذه الآية رواه زيد بن أسلم عن أبيه وقد شهد هذه الحادثة وكتبها.

٢- رأى عمر شيخاً فريداً يسأل على الأبواب فعلم أنه يهودي فقال له ما ألجأك إلى ما أرى قال الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فأعطاه مايكفيـه ساعتها وأرسل إلى خزانة بيت المال ( انظر هذا وقرناءه فوالله ما أنصـفناه إن أكلنـا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ الآية [٤] وهذا مـن مساكين أهل الكتاب .

٣-ولما سافر إلى دمشق مر بأرض قوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت [٥].

٤-ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في (فحل) كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون (يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينـا مـن الروم وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسـن ولايـة علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا ) وغلق أهل حمص أبواب مـدينتهم دون جيش هرقل وفتحوها للمسلمين .

٥-جاء في كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة من النصارى قوله( أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فأفتقر وصار أهل دينه يتصـدقون عليـه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسـلام ).[٦]

٦-بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان أميراً على جيش وأوصاه بقوله ( إني موصيك بعشر فأحفظهن إنك ستلقى أقواماً زعموا أنهم فرغوا أنفسهم لله في الصوامع فذرهم وما فرغوا له أنفسهم .)

٧-ويوم أن ضرب ابن عمرو بن العاص ابن قبطي سبقه في مسابقة وقال أتسبق ابن الأكرمين ورفع القبطي أمره إلى عمر بن الخطاب فأمر بإحضار ابن عمرو وأباه وقال للقبطي اضرب ابن الأكرمين ثم قال اضرب أباه وقال يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.(٧)

وحينما دخل الإسلام مصر والشام كان النزاع قائماً بين الكنيسة الغربية التي يحميها أباطرة الروم وبين الكنيسة الشرقية والتي لا حماية لها وهي أصل النصرانية وكان المسيحيون الغربيين يتهمون المسيحيون الشرقيين بالزندقة والإلحاد فلما حل الحكم الإسلامي محل الحكم الروماني لم يثر كنيسة على أخرى بل فرض على كل منها ترك الأخرى دون اضطهاد أو مضايقة فوقفت الكنيسة على قدميها بعد أن كانت راكعة مغلوبة على أمرها للكنيسة الغربية وأعطى لكلتيهما الحكم في الشئون الدينية ولم يكن ذلك في عهد الحكم الروماني ولقد سجل مؤرخو المسيحية ما لاقته الكنيسة الشرقية في العهد والحكم الصليبي من اقفال للكنائس واضطهاد لهذا فقد أحبوا حكم الإسلام الذي يضمن لهم السلام وكتب الأهالي (ومع ذلك فلم يكن كسباً هيناً أن نتخلص من قوة الروم وأذاهم وحقدهم وتحمسهم العنيف ضدنا وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام )(٨).

عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ما بها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وبيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد وعمرو وعبد الرحمن ومعاوية وكتبيه وخضر سنة خمسة عشر.(٩)

عهد عمرو بن العاص مع أقباط مصر جاء فيه

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وبرهم وبحرهم لا ينقض عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ، ثم قال ( وعلى أهل مصر أن يعطو الجزية إذا اجتمعوا على الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف) وجاء في آخر الكتاب قوله( وعلى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين )

وقد شهد على هذا العهد الزبير بن العوام وعبد الله ومحمد ولداه وكتبه كاتبه اسحق بن مروان (١٠) .

نهيه صلى الله عليه وسلم عن إيذائهم

فعن عبد الرحمن بن عائذ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثاً قال (تألفوا الناس وتأنوا بهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل بيت من مدد ولا وبر أن تأتوا بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم )

والله تعالى يقول في محكم كتابه ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١١)

وقال تعالى ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١٢)

حرمة قتل الذمي وأذاه

المعاهد هو المشرك الذي دخل دار الإسلام بأمان فيحرم قتله ويجب إرجاعه إلى مأمنه وفيه يقول الله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ (١٣)

وفي حكمة من دخل دار الاسلام بإذن من أهل الكتاب وكلاهما لا يعتبر من أهل الحرب ما دام مأذوناً له في البقاء فلا يحل قتله بغير جريرة تقتضي القتل ويجب إرجاعه إلى مأمنه بعد انتهاء مدة الإذن له بالبقاء في دار الإسلام .

وفي حرمة قتله أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)

وأطلق علي كليهما وصف المعاهد لأنه أعطى عهداً وإذناً في الدخول لدار الإسلام وتأمينه مدة إقامته فيها وكما يقال له معاهد يقال له مؤمن .

وأما الذمي فالمراد به من يقيم بدار الإسلام إقامة دائمة لأنها وطنه أو لأنه هاجر إليها مأذوناً له بالإقامة الدائمة فيها وهي حقهم يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) فهؤلاء لهم أموالهم وأعراضهم وحقوقهم المدنية وحريتهم الدينية في عقائدهم وكنائسهم وزواجهم وطلاقهم فلا نكرههم على ديننا وعليهم ما علينا من حقوق الإخلاص للوطن وصيانته والدفاع عنه ودفع ما يطلب منهم في حمايتهم وحمايته من ضريبة الجزية (أي الجزاء على التأمين والسلامة )في مقابل الزكاة من المسلمين وكذا دفع سائر الضرائب التي تفرض على المواطنين لمصلحة الوطن الذي يستظلون بظله ويظل السلامة والأمن في أرضه كما يجب عليهم الخضوع لأحكام الإسلام التي تسن وفق الشريعة الإسلامية لحفظ الأمن العام ولحماية والأعراض والأخلاق (١٤).

بل قال صلى الله عليه وسلم (الإنسان بنيان الرب ملعون من هدمه)

وقال صلى الله عليه وسلم (من أذى لي ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة )

واتفق الفقهاء على أن من قتل ذمياً بغير حق فعليه القصاص .لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا ولأن أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا.

## الخاتمة

**حقيقة الهجرة لدى صاحب المعجزات صلى الله عليه وسلم :**

ما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يهاجر من بلده هرباً من أذى قومه وما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يغادر وطنه خوفاً على نفسه عادية أهله وعشيرته رغبة في الحصول على مال ولا سعياً وراء منصب وجاه نعم ما كان ولا يكون للرسول من طلاب هذه الشئون التافهة ولا يضيره وعيد قومه ولا تهديداتهم الغادرة فإن نفسه أكبر من ذلك وأفقه أوسع وتفكيره أعمق من أن يفكر في مثل هذا .

والواقع أن الذي دفع الرسول– صلى الله عليه وسلم – إلى الهجرة أمر أكرم عليه من الوطن وأسمى عنده من الجاه وأعز لديه من النفس والأهل والعشيرة نعم هي دعوته ورسالته إلى قومه عز عليه ما هم فيه من تراهات عقيدية ومهازل أخلاقية وفوضى اجتماعية فإنه يعلم أن هذه كلها وسائل خراب ودمار ، عز عليه أن يكون مصيرهم وأحزنه ما رآه من استهانتهم بالدعوة وهو يعلم أن فيها نجاتهم بل كانوا ينفرون منها ويعملون جاهدين على إحباطها .

لذا لم تجد طريقاً إلى نفوسهم ولا مجالا في تفكيرهم عز عليه كذلك مصيرهم وبمناسبة هذه الذكرى العطرة على صاحبها أفضل صلاة وأجل سلام نعرض بعض معجزاته.

نبع الماء من بين أصابعه:

أخرج أحمد والبيهقي والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما وأصحابه قال " أصبح رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ذات يوم وليس في المعسكر ماء فقال رجل يا رسول الله ليس في المعسكر ماء قال : هل عندكم شيء ؟قال : نعم فأتى بإناء فيه شيء من ماء فجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصابعه في فم الإناء وفتح أصابعه قال فرأيت العيون تنبع من بين أصابعه فأمر بلالاً ينادي في الناس الوضوء المبارك .

**وحن إليه الجزع ؟**

أخرج أحمد وابن سعد والدرامي وابن ماجه وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يخطب إلى جزع قبل أن يتخذ المنبر فلما اتخذ المنبر وتحول إليه حن الجزع فأتاه فاحتضنه فسكت فقال لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة.

ونزل المطر لما رفع يديه إلى السماء بالدعاء:

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة جدب على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فبينما رسول الله –صلى الله عليه وسلم – على المنبر يوم الجمعة يخطب أتاه أعرابي فقال يا رسول الله هلك وجاع العيال فادع لنا فرفع رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يديه ما نرى في السماء قزعة.

فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى ثار سحاب كأمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأيت يليه حتى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي فقال :يا رسول الله تهدم البناء فرفع رسول الله– صلى الله عليه وسلم – يديه وقال اللهم حوالينا لا علينا فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرج حتى صارت المدينة مثل الحوية وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود.

وقالت له الشجرة أشهد أنك رسول الله:

وأخرج الدرامي وأبو يعلي والطبراني وابن حيان والبزار والبيهقي وأبو نعيم بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال "كنا مع النبي– صلى الله عليه وسلم – في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا قال له النبي– صلى الله عليه وسلم – أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك في خير قال وما هو ؟قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله قال من شاهد على ما تقول؟ قال الشجرة فدعاها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو يشاطر الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً حتى جاءت بين يديه فأستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه رسول الله ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه فقال أن يتبعوني آتك بهم وإلا رجعت إليك فكنت معك.

وانشق القمر بإشارة يده

روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :انشق القمر في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال عليه الصلاة والسلام اشهدوا وصدق الله إذ يقول ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ﴾ سورة القمر الآيات ١/٣.

وعالج المريض بدون دواء:

أخرج البخاري عن يزيد بن أبي عبيد قال:"رأيت أثر ضربة في ساق سلمه بن الأكوع فقلت ما هذه الضربة قال:ضربه أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمه

فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنفث فيها ثلاثاً فما اشتكيت منها حتى الساعة .

المعجزة الخالدة والحجة البالغة :

القرآن الكريم المنزل على خاتم أنبيائه محمد –صلى الله عليه وسلم –بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المعتد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى أخر سورة الناس.

هو المعجزة العظمى والحجة البالغة الباقية على وجه الدهر لرسول البشرية سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم – تحدى به الناس كافه وهو هدايه الخالق لإصلاح الخلق وشريعة السماء لأهل الأرض السعادة لا تنال إلا بهدايته حارب التقليد ودعى إلى النظر والتأمل في الكون فتح باب العلوم التجريبية وحارب العنصرية وكون أمة مثالية يجب على المسلم أن يجعله أنيسه في خلوته ورفيقه في سفره وصديقه الصدوق في يسره وعسره ومستشاره الأمين في أمور دينه ودنياه وبعد فنصلي ونسلم عليه صلاة ترضيه وترضينا وهذا وبالله التوفيق.

نحو الوحدة

إن الأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع بل هي المجتمع الصغير الذي يشع منه الأمن والسلام على المجتمع الكبير وإن قوماً اختلطت مشاربهم ومآكلهم وبينهم تزاوج وأحسن معاملة وعظيم مودة فهم جديرون بالأمن والمودة بين أهل مصر لمثالاً نادراً وهو أحق أن يحتذى به في كل البلدان في العالم إن المسلمين والمسيحيين يشارك بعضهم بعضاً في الأفراح والذهاب إليها والأعياد وفى التعزية في الاتراح والأحزان والمصائب وهم كذلك يعودوا مرضاهم ويتهادون وتجد الإخوة بادية جميلة في المصالح والأعمال والمنافع و .....

لقد بلغ الاتحاد بين شعب مصر أنك لا تستطيع أن تميز المسلم عن المسيحي إلا في العقيدة فقط فشكلهم واحد وفصائل دمهم واحدة وعيشتهم وثقافتهم وفكرهم واحدة فلقد قال الدكتور عبد الودود شلبي أننا في مصر كلنا أقباط مسلمين ومسيحيين فالقبطي هو المصري الذي يسكن مصر من سلالة أهلها .

ولكن بقي أن يتفهم أهل مصر من مسلمين ومسيحيين أن يتفهموا اللحظات الحرجة وألا يعطوا للمفسدين الفرصة في أن يسيروا القلاقل.

إن أهل مصر عاشوا معاً برباط لم يشهد له التاريخ مثلاً او نظيراً بالحب والإخوة أكثر من أربعة عشر قرناً او يزيد فيجب أن ينحوا العناصر المغرضة والفئات المنحرفة الحاقدة من بين صفوفهم إن هناك أناس أكل الحقد قلوبهم لعيش هذا الشعب رغم ما مر به من ظروف وأزمات واستعمار وغيرها في أمن عاش في ترابط وحب ومودة وصفاء وإخاء. وهؤلاء الحقدة يريدون لهذا البلد الآمن الاضطراب ولهذا الشعب المتحابب النفرة ولهذا الاتفاق اختلاف والمطلوب من الدولة واجهزة الأمن أن تأخذ على يد العابثين بأمنها بكل حزم وقوة مهما كان انتسابه لأي دين أو طائفة مسلم أو مسيحي أو غيرهم وذلك من غير تسلط على برئ او تحيز إلى فئة لإرضاء طائفة أو لضغط ما.

وعلى أهل مصر حكومة وشعباً أن يعلموا أن تهديد امن الناس من أقوى أغراض الاستعمار الصهيوني الخارجي لذا يجب على أهل مصر جميعاً أن يعملوا على زوال البغضاء وزيادة الألفة.

## المحتوى

